الإسلام دين التسامح

الناشر: دار الفاروق للنشر والتوزيع

☜ الحائزة على الجوائز الآتية ☞

جائزة أفضل ناشر ثقافي عام في مصر لعام ٢٠٠٤

جائزة أفضل ناشر للأطفال والناشئة في مصر لعام ٢٠٠٣

جائزة أفضل ناشر مدرسي في مصر لعام ٢٠٠٣

جائزة أفضل ناشر للترجمة من وإلى اللغة العربية في مصر لعام ٢٠٠٣

جائزة الإبداع في مصر لعام ٢٠٠٢ (الجائزة الذهبية)

جائزة أفضل ناشر علمي وجامعي في مصر لعام ٢٠٠١

جائزة أفضل ناشر علمي وجامعي في مصر لعام ٢٠٠٠

المركز الرابع كأفضل دار نشر على مستوى العالم

في مجال الترجمة في معرض فرانكفورت عام ٢٠٠٠

وسط البلد: ٣ شارع منصور – المبتديان – متفرع من شارع مجلس الشعب

محطة مترو سعد زغلول – القاهرة – مصر.

تليفون : ٧٩٥٣٠٣٢ (٠٠٢٠٢) – ٧٩٤٣٢٠٣ (٠٠٢٠٢)

فاكس : ٧٩٤٣٦٤٣ (٠٠٢٠٢)

العنوان الإليكتروني: **www.darelfarouk.com.eg**

الطبعة الأولى ٢٠٠٦

عدد الصفحات ٦٤ صفحة

رقم الإيداع ٧٩١٥ لسنة ٢٠٠٥

الترقيم الدولي: 977-345-932-2



الإسلام دين التسامح

بقلم

أ.د. أحمد عمر هاشم

رئيس جامعة الأزهر السابق

عضو مجلس البحوث الإسلامية

رئيس اللجنة الدينية بمجلس الشعب سابقًا



المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد،

ففي الوقت الذي فهم فيه غير المسلمين ديننا خطأ، وتوهم كثير منهم أنه دين عنف وتشدّد، وأن فيه بعض التعاليم التي التبست عليهم أو توهموا أن بها تشدّدًا وزعموا أن بعض الذين مارسوا بعض صور التشدد والإرهاب هم نموذج للمسلمين.. في هذا الوقت الراهن الذي ظهرت فيه هذه الدعاوى كان علينا أن نوضح حقيقة التسامح الإسلامي في حضارته، وأن نبين أن الإسلام - عبر عصور تاريخه الزاهر - كان يتسع للتعددية الدينية، والآراء المذهبية، وكانت سماحته في معاملة غير المسلمين من أهم الأسباب التي جعلت الناس يدخلون في دين الله أفواجًا.

ولم يغلق الإسلام أبوابه في وجه غير المسلمين، بل إنه تعاون مع الجميع، واشتملت رسالته - ومصادرها من الكتاب والسنة والإجماع - على كل ما فيه خير ومصلحة للناس أجمعين.

بل إن رب العزة سبحانه وتعالى حين لخص دعوة رسول الله ﷺ وبين سبب بعثته وإرساله للناس كافة، بين أنه إنما أرسله ليكون برسالته وبعثته رحمة للعالمين، حيث قال الله تعالى مخاطبًا رسوله ﷺ:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[1].

والإسلام دين عالمي، ختم الله تعالى بشريعته الشرائع السابقة، ومع هذا، فإن الإسلام لم يُعادِ أي دين من الأديان، بل أمر بالإيمان بجميع الأنبياء، ولم يفرق بين أحد منهم.

قال الله تعالى:

﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾[2].

ووجود التعددية الدينية في المجتمعات الإسلامية أكبر شاهد على تسامح العقيدة الإسلامية واعتدالها وعدالتها، بل إن قيام العدل بين جميع الناس مسلمين وغير مسلمين يشهد بهذه الحقيقة، بل إن الأمر بلغ في سموّ التعاليم الإسلامية أنها لم تنه عن أن نبرّ الذين لم يقاتلونا في الدين وأن نقسط إليهم، كما قال الله تعالى:

﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾[3].

---

(١) الآية ١٠٧ من سورة الأنبياء.

(٢) الآية ١٣٦ من سورة البقرة.

(٣) الآية ٨ من سورة الممتحنة.

الإسلام وموقفه من غير المسلمين
واحترام الإسلام لسائر الأديان السماوية

احترم الإسلام جميع الأديان السماوية، وأرسل الله تعالى سيدنا محمدًا ﷺ خاتمًا للأنبياء والمرسلين، ومصدقًا لجميع الرسل الذين كانوا قبله، وأنزل الله تعالى على رسوله القرآن الكريم تبيانًا لكل شيء، ومصدقًا لما بين يديه من الكتب ومهيمنًا عليها وحارسًا أمينًا لها.

وكان من عناصر الإيمان: الإيمان بجميع الرسل السابقين وبجميع الكتب السماوية، قال الله تعالى:

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾[1].

بل إن إيمان المؤمن لا يكون صحيحًا إلا إذا آمن بجميع الأنبياء السابقين، وآمن بما أنزله الله تعالى عليهم من الكتب السماوية الصحيحة، قال الله تعالى:

﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾[2].

---

(١) الآية ٢٨٥ من سورة البقرة.

(٢) الآية ١٣٦ من سورة البقرة.

وما دام كل مسلم مأمورًا أن يؤمن بجميع الرسل السابقين وبجميع الكتب السماوية، فلا يكون لديه تعصب، ولا كراهية لدين آخر أو نبي أو رسول، ولا كراهية ولا حقد على أحد من أتباع الأديان الأخرى.

ووضَّح القرآن الكريم لأتباعه ما قضته الإرادة الإلهية منذ الأزل، من اختلاف الناس في عقائدهم وأجناسهم وألوانهم وذلك لحكمة يعلمها الحكيم الخبير، قال سبحانه:

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝ ﴾[1].

وقال جل شأنه:

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۝ ﴾[2].

ولا يحجر الإسلام على أحد، ولا يكره أحدًا على الدخول في عقيدته، قال الله تعالى:

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ﴾[3].

---

(١) الآيتان ١١٨ و ١١٩ من سورة هود.

(٢) الآية ٩٩ من سورة يونس.

(٣) من الآية ٢٥٦ من سورة البقرة.

موقف الإسلام من غير المسلمين

من المعلوم أن الإسلام هو دين السلام، لا يأمر بالحرب إلا في الضرورة القصوى التي تستدعي الدفاع والجهاد في سبيل الله. ومع مشروعية الجهاد في سبيل الله؛ دفاعًا عن الدين والعقيدة والأرض والعرض، فإن الحرب في الإسلام لها حدود وضوابط، وللمسلمين أخلاقهم التي يتخلقون بها حتى في حربهم مع من يحاربهم من غير المسلمين. فأمر الإسلام بالحفاظ على أموال الغير، وبترك الرهبان في صوامعهم دون التعرض لهم، ونهى الإسلام عن الخيانة والغدر والغلول، كما نهى عن التمثيل بالقتلى وعن قتل الأطفال والنساء والشيوخ وعن حرق النخيل والزروع وقطع الأشجار المثمرة. وأوصى أبو بكر الصديق رضي الله عنه أسامة بن زيد عندما وجهه إلى الشام بالوفاء بالعهد وعدم الغدر أو التمثيل، وعاهد خالد بن الوليد أهل الحيرة ألا يهدم لهم بيعة ولا كنيسة ولا قصرًا ولا يمنعهم من أن يدقوا نواقيسهم أو أن يخرجوا صلبانهم في أيام أعيادهم.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه رحيمًا بغير المسلمين من أهل الكتاب، وكان ينصح سعد بن أبي وقاص عندما أرسله في حرب الفرس بأن يكون في حربه بعيدًا عن أهل الذمة، وأوصاه ألا يأخذ منهم شيئًا لأن لهم ذمة وعهدًا، كما أعطى عمر رضي الله عنه أهل إيلياء أمانًا على أموالهم

وكنائسهم وصلبانهم وحذر من هدم كنائسهم. وأمر الإسلام بحسن معاملة الأسرى وإطعامهم، قال الله تعالى:

﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾[1].

بينما يعامل غير المسلمين أسرى المسلمين معاملة سيئة، وفي أسرى غزوة بدر الكبرى عاملهم النبي ﷺ خير معاملة فوزعهم على الصحابة وأمرهم أن يحسنوا إليهم فكانوا يؤثرونهم على أنفسهم في الطعام وفي الغذاء، ولما استشار أصحابه في شأن أسرى بدر، وأشار البعض بقتلهم وأشار الآخرون بالفداء، وافق على الفداء، وجعل فداء الذين يكتبون منهم أن يعلم كل واحد منهم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة، وكان هذا أول إجراء لمحو الأمية.

ولم يقبل الرسول أن يمثل بأحد من أعدائه في الحروب مهما كان أمره، ولما أشير عليه أن يمثل بسهيل بن عمرو لأنه كان يحرض على حرب المسلمين وعلى قتالهم فأشير عليه أن ينزع ثنيتيه السفليتين حتى لا يستطيع الخطابة بعد ذلك، لم يوافق النبي ﷺ على ذلك بل رفض قائلاً: "لا أمثّل به فيمثّل الله بي وإن كنت نبيًّا"، وعندما حقق الله تعالى لرسوله ﷺ أمنيته بفتح مكة المكرمة ودخلها فاتحًا منتصرًا ظافرًا قال لقريش: "ما تظنون أني فاعل بكم؟" قالوا: خيرًا، أخ كريم وابن أخ كريم. فقال ﷺ: "اذهبوا فأنتم الطلقاء، لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لي ولكم". ومن توجيهات الإسلام للمسلمين في الحرب:

---

(١) الآية ٨ من سورة الإنسان.

١- أن يكون القتال في سبيل الله.

٢- ان يكون القتال لمن يقاتلون المسلمين.

٣- عدم الاعتداء. قال الله تعالى:

﴿ وَقَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾(١).

فالذين يعتدون على المسلمين ويقاتلونهم أُمر المسلمون أن يقاتلوهم، ولكنه قتال عادل بمعنى ألا يمثّلوا بأحد وبلا تعذيب حيث قال الله تعالى:

﴿ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَـٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾(٢). وهذا فيمن يقاتلون المسلمين.

أما الذين لا يقاتلون من غير المسلمين فكان النبي ﷺ ينهى عن قتالهم، عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله لا تقتلوا شيخًا فانيًا ولا طفلاً صغيرًا ولا امرأة.." (٣) وفي حديث آخر: "سيروا باسم الله وفي سبيل الله قاتلوا من كفر بالله ولا تمثّلوا ولا تغدروا ولا تغلّوا ولا تقتلوا وليدًا"(٤).

---

(١) الآية ١٩٠ من سورة البقرة.

(٢) الآية ١٩٤ من سورة البقرة.

(٣) رواه أبو داود.

(٤) رواه ابن ماجه.

كما كان ينهى ﷺ عن التعرض للرهبان وأصحاب الصوامع وعن التمثيل والغلول، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث جيوشه قال: "اخرجوا باسم الله، قاتلوا في سبيل الله من كفر بالله لا تعتدوا ولا تغلوا ولا تمثّلوا، ولا تقتلوا الولدان ولا أصحاب الصوامع"[1].

(١) رواه ابن ماجه.

موقف الإسلام من غير المسلمين في حال السلم

يقف الإسلام من غير المسلمين في حال السلم موقف الأمان، بل إنه لم ينه عن البر بهم ما داموا لم يقاتلوا المسلمين، وإنما ينهى عن البر بالذين قاتلوا المسلمين في دينهم وأخرجوهم من ديارهم وظاهروا على إخراجهم، فقال جل شأنه:

﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَـٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ وَظَـٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ۝٩ ﴾[1].

ونهى القرآن الكريم عن مجادلة أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن، فقال الله سبحانه:

﴿ وَلَا تُجَـٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَـٰهُنَا وَإِلَـٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ۝٤٦ ﴾[2].

---

(١) الآيتان ٨ و ٩ من سورة الممتحنة.

(٢) الآية ٤٦ من سورة العنكبوت.

وقال سبحانه:

﴿ قُلۡ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[1].

بل أمر الإسلام بالوفاء بالعهد حتى مع المشركين، قال تعالى:

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَمۡ يُظَـٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ ﴾[2].

بل لو طلب المشرك من المسلم أن يجيره فعليه أن يجيره بل ويبلغه مأمنه كما قال الحق تبارك وتعالى:

﴿ وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾[3].

---

(١) الآية ٦٤ من سورة آل عمران.

(٢) الآية ٤ من سورة التوبة.

(٣) الآية ٦ من سورة التوبة.

ومن رعاية الإسلام لحقوق غير المسلمين رعايته لمعابدهم وكنائسهم، ومن محافظته عليها ما جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما حان وقت الصلاة وهو في كنيسة القيامة فطلب البطريق من عمر أن يصلي بها وهم أن يفعل ثم اعتذر ووضح أنه يخشى أن يصلي بالكنيسة فيأتي المسلمون بعد ذلك ويأخذوها من النصارى على زعم أنها مسجد لهم ويقولوا: هنا صلى عمر.

ولم تتوقف معاملة المسلمين لغير المسلمين عند حد المحافظة على أموالهم وحقوقهم، بل حرص الإسلام عبر عصوره على القيام بما يحتاجه أهل الكتاب وما يحتاج إليه الفقراء منهم.

إن مثل هذه المعاملة من المسلمين لغير المسلمين تطلع العالم أجمع على أن الإسلام ربَّى أتباعه على التسامح وعلى رعاية حقوق الناس، وعلى الرحمة بجميع البشر مهما اختلفت عقائدهم وأجناسهم.

وقد حفظت أجيال المسلمين قيمة هذه الرعاية الإسلامية لحقوق غير المسلمين، لأنهم ما طبقوها إلا استجابة لتعاليم القرآن الكريم، وتوجيهات الرسول العظيم عليه أفضل الصلاة والسلام، وقد طبقها في حياته فوعاها المسلمون جيلاً بعد جيل وطبقها الخلف عن السلف والأبناء عن الآباء، فها هو ذا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: حدّث مجاهد قال: كنت عند عبد الله بن عمر وغلام له يسلخ شاة، فقال: يا غلام، إذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودي. وقال ذلك مرارًا، فقال له: كم تقول هذا؟ فقال: إن رسول الله لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا أنه سيورثه.

المساواة بين المسلمين وغير المسلمين في القضاء وسائر المعاملات

أقام الإسلام المساواة بين المسلمين وغير المسلمين في القضاء وفي سائر المعاملات، وقد سجل التاريخ نماذج رائدة لهذه المعاملات التي تعتبر قمة ما وصلت اليه المعاملات الإنسانية العادلة في تاريخ البشرية جمعاء.

فعندما شكا رجل من اليهود عليَّ بن أبي طالب للخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال عمر لعليٍّ: قم يا أبا الحسن فاجلس بجوار خصمك. فقام عليٌّ وجلس بجواره، ولكن بدت على وجهه علامة التأثر، فبعد أن انتهى الفصل في القضية قال لعليٍّ: أكرهت يا علي أن نسوي بينك وبين خصمك في مجلس القضاء؟ قال: لا ولكني تألمت؛ لأنك ناديتني بكنيتي فلم تسوّ بيننا، ففي الكنية تعظيم، فخشيت أن يظن اليهود أن العدل ضاع بين المسلمين.

وتتابعت وصايا رسول الله ﷺ بأهل الذمة والمعاهدين حيث قال ﷺ: "من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عامًا"[1]. وقال ﷺ: "ألا من ظلم معاهدًا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة"[2].

---

(١) رواه البخاري ومعنى "لم يرح رائحة الجنة": لم يشمها.

(٢) رواه البيهقي.

ومما يدل على المساواة بين المسلمين وغيرهم في القضاء وعلى انتشـــار الإسلام بسماحته وحسن معاملة المسلمين لغير المسلمين، هذه الواقعة التـــي حدثت بين الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وبين رجل مـــن أهـــل الكتاب، وذلك عندما فقد الإمام علي درعه، ثم وجـــدها عنـــد هـــذا الرجـــل الكتابي، فجاء به إلى القاضي شريح قائلاً: إنها درعي ولم أبع ولـــم أهـــب. فسأل القاضي شريح الرجل الكتابي قائلاً: ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين؟ فقال الرجل: ما الدرع إلا درعي، وما أمير المؤمنين عندي بكاذب. فالتفـــت القاضي شريح إلى الإمام علي رضي الله عنه يسأله: يا أمير المؤمنين هـــل من بينة؟ فضحك علي وقال: أصاب شريح ما لي بينـــة. فقضـــى بالـــدرع للرجل، وأخذها ومشى، وأمير المؤمنين ينظر إليه، إلا أن الرجل لـــم يخـــط خطوات حتى عاد يقول: أما أنا فأشهد أن هذه أحكام أنبياء.. أمير المـــؤمنين يدينني إلى قاضيه فيقضي عليه؟ أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين، اتبعت الجيش وأنت منطلـــق إلى صفين فخرجت من بعيرك الأورق. فقال الإمام علي رضي الله عنه: أما إذا أسلمت فهي لك.

وهكذا نرى كيف وصلت سماحة الإسلام إلى هذا المدى الذي يقف فيه أمير المؤمنين نفسه أمام القاضي، مع رجل من أهل الكتاب، ومع أن أمير المؤمنين على حق، فإن القاضي طالبه بالبينة، وهذا أمر جعل أمير المؤمنين يضـــحك؛ لأنه على حق، وليس معه بينة، وواضح أنه المدعي، والبينة علـــى المـــدعي

واليمين على من أنكر، ثم تكون النهاية: أن يحكم القاضي للرجل بالظاهر، حيث لم تظهر البينة.. إن هذه المعاملة السمحة، التي لا يفرّق فيها بين أمير وواحد من الرعية من أهل الكتاب، جعلت الرجل يفكر في هذا الدين ويتملكه الإعجاب بهذا الدين، الذي يقف فيه أمير المؤمنين أمام قاضيه، ويحكم قاضيه عليه لا له، بظاهر ما أمامه وإن كان ذلك خلاف الواقع، فأنطق الله الرجل أن يقول: أما أنا فأشهد أن هذه أحكام أنبياء.. وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.. ويعترف ويقر بالحقيقة قائلاً: الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين، اتبعت الجيش، وأنت منطلق الى صفين فخرجت من بعيرك الأورق، ولكنه – وقد اعترف وأحب الإسلام ودخل فيه – جعل أمير المؤمنين يتنازل عن الدرع للرجل قائلاً: أما إذا أسلمت فهي لك.

إنها صورة من صور القضاء في قمة عدالته، حيث يسوي بين هذا الرجل وبين أمير المؤمنين، وصورة سماحة الإسلام في ذروتها حيث كان الحكم بالظاهر وعلى أمير المؤمنين لا له، إن مثل هذه المعاملة السمحة مع غير المسلمين، هي التي قربت الإسلام الى الناس، وجعلتهم يدخلون في دين الله أفواجًا.

أما صور التعصب الممقوت التي يساء فيها إلى الإسلام، فإنها لا تدفع الناس إلى الدخول فيه، بل تدفعهم إلى النفور منه.

ومن أجل هذه كان القرآن الكريم يجلي هذه الحقيقة:

﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾[1].

---

(١) من الآية ٢٥٦ من سورة البقرة.

وأيضًا لا حرج فيه ولا مشقة:

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾[1].

إنه دعوة إلى اليسر والتسامح لا إلى العسر والغلظة:

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾[2].

---

(١) من الآية ٧٨ من سورة الحج.

(٢) من الآية ١٨٥ من سورة البقرة.

سماحة الإسلام مع غير المسلمين في المعاملة:

كما راعى الإسلام السماحة والمساواة بين المسلمين وغيرهم في القضاء، فإنه راعى السماحة في معاملة المسلمين لغيرهم:

﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾[1].

بل قرر الإسلام حماية أهل الذمة والمستأمنين ماداموا في دار الإسلام، وهذا الحق الذي قرره الإسلام لحمايتهم، يجب أن يعمل به أهل الأديان الأخرى في معاملة الأقليات الإسلامية، حماية لهم وتمكيناً لعبادتهم، حتى يتم التعاون بين عنصري الأمة. ولننظر كيف أكد الإسلام على حقوق أهل الكتاب والمعاهدين، قال رسول الله ﷺ: "ألا من ظلم معاهدًا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ شيئًا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة"[2]. ومن وصايا سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: أوصيكم بذمة الله، فإنه ذمة نبيكم ورزق عيالكم.

وإرساءً لأسس التعاون والتواصل بين عنصري الأمة أحل الله طعامهم فقال:

﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ﴾[3].

(١) الآية ٨ من سورة الممتحنة.

(٢) رواه البيهقي.

(٣) من الآية ٥ من سورة المائدة.

وشرع الزواج بالمرأة الكتابية، ولا رابطة في الظواهر الاجتماعية أقوى من ذلك، قال تعالى:

﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾[1].

وإذا كان التسامح وحسن المعاملة وعدم التعصب، أمورًا مطلوبة من المسلمين في معاملتهم مع غير المسلمين، فإنها كذلك مطلوبة من غير المسلمين مع المسلمين، حتى تتم معاملة كل طرف للآخر في دائرة التعاون والتضامن، فلا يسيء أحدهم إلى الآخر، بل يتعاملون بروح الفريق الواحد في الوطن الواحد.

وإن سر انتشار الإسلام، واعتناق الناس له، ودخولهم في دين الله أفواجًا، هو منهاجه الرباني، الذي أنزله رب العزة – سبحانه وتعالى – على رسوله ﷺ هذا المنهاج الذي أمر الله – تعالى – فيه بالدعوة بالحكمة، والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن.

إنه منهج دعوة، وليس إكراهًا ولا تشددًا ولا عنفًا قال الله تعالى:

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[2].

وما أقر الإسلام العنف ولا التشدد:

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ﴾[3].

---

(١) من الآية ٥ من سورة المائدة.

(٢) من الآية ١٢٥ من سورة النحل.

(٣) من الآية ٢٥٦ من سورة البقرة.

وقال سبحانه لموسى وهارون حين بعثهما إلى فرعون الذي ادعى الألوهية:

﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾[1].

وعندما خافا أن يبطش بهما، بيَّن الله – تعالى – أنه معهما يسمع ويرى ويؤيدهما في دعوتهما، فالله سبحانه يؤيد كل داع يستجيب لمنهاجه، ويدعو بالقول الليِّن الذي لا ينفر، فقال تعالى – ردًا عليهما –:

﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾[2].

وقاوم الإسلام العصبية، ودعا إلى التسامح ففي الحديث: "ليس منا من دعا إلى عصبية"[3]، ولم يقتصر تسامح الإسلام مع أهل الكتاب فحسب، بل إنه شمل حتى المشركين، فدعا الإسلام إلى منحهم الجوار والأمان حين يطلبه أحد المشركين، قال الله – تعالى –:

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ﴾[4].

---

(١) الآية ٤٤ من سورة طه.

(٢) الآية ٤٦ من سورة طه.

(٣) رواه أبو داوود.

(٤) من الآية ٦ من سورة التوبة.

بل إن الإسلام يعتبر ضرب الإنسان الفاجر أو المعاهد دون ذنب أو سبب جريمة يتبرأ الرسول ﷺ من صاحبها فيقول: "ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها لا يتحاشى من مؤمنها، ولا يفي لعهد ذي عهدها، فلست منه وليس مني"(١)، وذلك حتى لا يأخذ الناس بعضهم بعضًا بالظن، وحتى لا تكون الحياة فوضى؛ فالإسلام لا يقر الظلم ولا العدوان، حتى على الفاجر أو من كان معاهدًا، فالفاجر فجوره على نفسه وحسابه على الله، ولسنا مطالبين حياله إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومراتب مقاومة المنكر هي التي أخبر بها الرسول ﷺ حين قال: "من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"(٢).

وليس لأحد كائنًا من كان أن يعطي نفسه الشرعية والحق في ضرب الناس، أو إكراههم باسم الإسلام، فإنه بهذا التصرف يسيء إلى الإسلام وإلى سماحته.

عدالة الإسلام:

وقد عني الإسلام برعاية أهل الكتاب، فقرر سيدنا عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – لهم كفالة في بيت مال المسلمين، فقد روي أنه مر بباب جماعة، فوجد سائلاً يسأل – وهو شيخ كبير ضرير – فسأله قائلاً: من أي أهل الكتاب أنت؟ فقال: يهودي. فسأله: ما ألجأك إلى ما أرى؟ قال: أسأل

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

الجزية والحاجة والسن. فأخذ عمر بيده إلى منزله، وأعطاه، ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال له: انظر هذا وأضرابه، فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته، ثم نخذله عند الهرم.

وما حدث في تاريخ سلفنا إهانة لأحد من أهل الذمة، بل إن حدث أي تجاوز كان الإسلام يعالجه في الحال، فعندما شكا إلى عمر أحد الأقباط ابن والي مصر؛ عمرو بن العاص الذي لطم ابنه عندما غلبه ابن القبطي في السباق وقال: أنا ابن الأكرمين. أسرع عمر رضي الله عنه بإحضار والي مصر وابنه إلى مكة في موسم الحج، وأعطى عمر الدرة لابن القبطي وأمره أن يقتص من ابن الأكرمين، ثم قال لعمرو كلمته المأثورة: متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا.

وقد أقام الإسلام العدل بين عنصري الأمة من المسلمين وغير المسلمين، ومن رسالة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى قاضي القضاة أبو موسى الأشعري قال له: آس بين الناس في وجهك ومجلسك وقضائك، حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك. فلا يصح التفرقة بين المتخاصمين، حتى ولو كان أحدهما غير مسلم.

وهكذا نرى كيف عامل سلفنا أهل الكتاب، وكيف أظهروا سماحة هذا الدين الذي لا يقر العصبية، ولا يرضى الظلم حتى لغير المسلمين، بل يدعو إلى التسامح والعدل معهم.

وهذا المنهاج المتسامح للإسلام مع أهل الأديان الأخرى هو سر عظمة الإسلام، وسر ذيوعه وانتشاره في ربوع المعمورة.

الإسلام دعوة كل الرسل

إن الإسلام هو دعوة كل الرسل، ويتناول إطلاقه جميع الأديان التي أمر الله تعالى رسله أن يبلغوها للناس، لأنه روحها الكلي، على اختلاف في بعض التكاليف والأعمال، وينضوي الإنسان تحت راية الإسلام عندما تصح عقيدته، وتخلص من كل شائبة من شوائب الشرك والنفاق، ويخلص في إيمانه وعمله لله تعالى، وهذا هو المراد بقوله تعالى:

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾(١).

فالإسلام بمفهومه القرآني المشرق اسم للدين الإلهي الذي جاء به جميع الأنبياء والرسل وانتسب إليه أتباعهم جميعًا، يقول نوح لقومه:

﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾(٢).

ويوصي يعقوب بنيه قائلاً:

﴿ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾(٣).

ويجيب أبناء يعقوب أباهم قائلين:

﴿ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾(٤).

---

(١) من الآية ٨٥ من سورة آل عمران.
(٢) من الآية ٧٢ من سورة يونس.
(٣) من الآية ١٣٢ من سورة البقرة.
(٤) من الآية ١٣٣ من سورة البقرة.

ويقول موسى عليه السلام لقومه:

﴿ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾[1].

ويقول الحواريون لعيسى:

﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[2].

ويقول بعض أهل الكتاب حين سمع القرآن:

﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴾[3].

وقد وجه القرآن الكريم الأمة الإسلامية، إلى بيان هذه الحقيقة في قوله تعالى:

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ﴾[4].

كما خاطب الله تعالى الرسل جميعًا مبيّنًا أن الإسلام والتوحيد قد أمر به كافة الرسل عليهم الصلاة والسلام وكافة الأمم، فالملة واحدة، متحدة في أصول الشرائع لا تتبدل بتبدل العصور، قال تعالى:

---

(١) من الآية ٨٤ من سورة يونس.

(٢) من الآية ٥٢ من سورة آل عمران.

(٣) من الآية ٥٣ من سورة القصص.

(٤) من الآية ١٣ من سورة الشورى.

﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ ﴾[1].

وتتلخص دعوة الملة القيمة في التوحيد الخالص لله الواحد الأحد، البعيد عن العقائد الزائفة، مع اتباع جميع الأحكام المنوطة باتباع الإسلام، كما قال تعالى:

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾[2].

وقال تعالى:

﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾[3].

فعلاقة الإسلام إذا بالأديان الأخرى علاقة الشيء بنفسه، ما دام جوهره هو جوهر كل الرسالات، ودعوة رسوله هي دعوة كل الرسل. وأما ما اختصت به العقيدة الإسلامة الخاتمة من شرائع وأحكام فهذا مدلول معين على شريعة معينة. وعلاقة الإسلام كشريعة للرسول ﷺ بالأديان الأخرى تقوم على أساس تصديق القرآن لما بين يديه من الكتب والهيمنة عليها.

(١) الآية ٥٢ من سورة المؤمنون.
(٢) الآية ٥ من سورة البينة.
(٣) الآية ١٣٦ من سورة البقرة.

وهذه العلاقة تأخذ اتجاهين واضحين:

الاتجاه الأول: علاقة الإسلام بالشرائع السماوية قبل تطورها وتغييرها.

والاتجاه الثاني: علاقته بها بعد تطورها وتغييرها.

أما عن الاتجاه الأول فالقرآن جاء مصداقًا لما قبله من الكتب، وقد أخذ رب العزة سبحانه على كل نبي إذا جاءه رسول مصدق لما معه أن يؤمن به وينصره.. وتصديق الكتب المتأخرة للمتقدمة لا يعني أنها لا تغير منها شيئًا. فهي مع أنها مصدقة لها إلا أنها تغير منها كما حدث أن جاء الإنجيل بتعديل أحكام التوراة، فأعلن عيسى – عليه السلام – أنه جاء ليحل لبني إسرائيل بعض الذي حرم عليهم، وأيضًا فقد جاء القرآن بتعديل بعض أحكام الإنجيل والتوراة إذ أعلن أن الرسول ﷺ جاء ليحل للناس كل الطيبات ويحرم عليهم كل الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم. وليس في هذا نقض من اللاحق للسابق، ولا إنكار منه له وإنما هو توافق وتناسب للزمن الذي تعيشه كل أمة، ليتواءم مع ظروفها وطبيعتها وأطوارها المختلفة، فإن الذي يتناسب مع أمة من الأمم في طورها الأول قد لا يتناسب معها في الطور الثاني، والذي يتناسب معها في الطورين الأولين قد لا يتناسب معها في الطور الثالث وهكذا.. نعم هناك من الأمور ما تأذن الشريعة اللاحقة بإبقائه واستمراره في نطاق ظروفه السابقة: كالوصايا العشر مثلاً ماعدا الوصية العاشرة التي تحرم العمل يوم السبت، فمثل ذلك من التشريعات

الخالدة التي لم تتغير بعد، أما ما هنالك من تشريعات مؤقتة بآجال طويلة أو قصيرة فهي تنتهي بانتهاء وقتها، وتأتي الشريعة اللاحقة بما يوافق الأوضاع مصداقًا لقوله تعالى:

﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾[١].

إذا في كل شريعة من الشرائع عنصران ضروريان للدعوة:

عنصر مستمر: يربط حاضرها بماضيها.

وآخر غير مستمر: ويقوم بالتجديد بما يتناسب مع تطورها في كل زمان ومكان، فمثلاً نرى شريعة التوراة تنص ضمن قوانين السلوك الأخلاقي على النهي عن القتل والسرقة.. إلخ. ومن أهم ما تبرزه: طلب العدل والمساواة، ونرى شريعة الإنجيل تقرر هذه المبادئ وتزيد عليها: (لا تراء الناس بفعل الخير) و(أحسن إلى من أساء إليك) وأوضح ما فيها التسامح والإحسان.. فتأتي شريعة القرآن فتقرر المبدأين معًا:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ ﴾[٢].

﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾[٣].

---

(١) من الآية ١٠٦ من سورة البقرة.

(٢) من الآية ٩٠ من سورة النحل.

(٣) الآية ٤٠ من سورة الشورى.

وقال تعالى:

﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴾[1].

وقد أضافت الشريعة الإسلامية كل مكارم الأخلاق، فلم تدع جانبًا من جوانب السلوك في التحية، والاستئذان، والمجالسة، والمخاطبة وما إلى ذلك من الآداب السامية، والأخلاق الرفيعة كما هو موضح في سورة النور، والحجرات، والمجادلة.

إذًا فالشرائع كلها بمثابة اللبنات في بناء الدين، ومهمة اللبنة الأخيرة: إكمال البناء وإمساكه، وبلوغه الكمال الخلقي كما قال عليه الصلاة والسلام: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"[2]، وقد وصف الله تعالى رسوله ﷺ بقوله عز وجل:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[3].

ويقول القرآن الكريم في بيان إكمال الدين وإتمام النعمة الإلهية على العباد على يدي خاتم المرسلين:

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾[4].

---

(١) الآية ١٢٦ من سورة النحل.

(٢) رواه الحاكم.

(٣) الآية ٤ من سورة القلم.

(٤) من الآية ٣ من سورة المائدة.

ويوضح الرسول ﷺ موقفه من الأنبياء السابقين عليه كرسول خاتم فيقول: "إن مثلي ومثل الأنبياء من قبل كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة"، قال: "فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين"(١).

وأما عن علاقة الإسلام بالأديان السماوية الأخرى بعد تطويرها وتغييرها: فقد عرفنا أن القرآن الكريم، جاء "مصدقًا" لما بين يديه من الكتب و"مهيمنًا" على تلك الكتب، والهيمنة تعني الحراسة الأمينة عليها، والحماية الواعية لها، من الدخيل الذي يدس فيها، ويطرأ عليها، وإبراز ما تدعو إليه الحاجة من حقائق قد أخفيت عنها، وتأييد ما خلده التاريخ من حق وخير.

وهكذا كانت مهمة القرآن الكريم، فنفى وجود الأمور الزائدة وتحدى ادعاء وجودها في الكتب:

﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾(٢).

وأبرز ما أخفوه:

﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾(٣).

فعلاقة الإسلام إذًا بالأديان الأخرى في طورها الأول علاقة تأييد كلي، أما في طورها الأخير المتطور فهو تصديق لما بقي من أجزائها الأصلية وتصحيح لما طرأ من البدع والإضافات الغريبة عنها.

---

(١) رواه البخاري.
(٢) من الآية ٩٣ من سورة آل عمران.
(٣) من الآية ١٥ من سورة المائدة.

وقد أمر الإسلام أتباعه بالتعامل الحسن، حتى مع أبعد الأديان عنه، قال تعالى:

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ﴾[1].

إن سماحة الإسلام لتنفسح جوانبها، وتمتد ظلال الأمن فيها وارفة فتجير المشرك وتؤويه وتكفل له الأمن، وتقدم له الرشد الناجح، والتوجيه السديد بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن كما قال تعالى:

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[2].

بل وتكفل له الحماية والرعاية والأمان من كل غائلة.. كما ندب الإسلام أتباعه أن يكون موقفهم من غير المسلمين موقف بر ورحمة وقسط وعدل:

﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾[3].

وما أروع قول الرسول ﷺ يوم الحديبية: "... والله لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألوني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها"[4].

وفي رواية: "والذي نفسي بيده لا يسألونني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها"[5].

---

(١) من الآية ٦ من سورة التوبة.

(٢) من الآية ١٢٥ من سورة النحل.

(٣) الآية ٨ من سورة الممتحنة.

(٤) رواه أحمد.

(٥) رواه البخاري.

نماذج لأثر سماحة الإسلام

وأقدم هنا بعض النماذج من سماحة الإسلام، وما كان لها من أثر كـريم فـي نفوس الذين عرفوها ولمسوها، حتى دخل بسببها في الإسـلام أنـاس كثير.

١- إسلام ثمامة بن أثال

قال الإمام البخاري رحمه الله: حدثنا عبد الله بن يوسف: حدثنا الليث قال: حدثني سعيد بن أبي سعيد أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه قال: بعث النبي ﷺ خيلاً قبل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال.

فربطوه بسارية من سواري المسجد. فخرج إليه النبي ﷺ فقال:

"ما عندك يا ثمامة؟" فقال: عندي خير يا محمد، إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت.

فترك حتى كان الغد، ثم قال له: "ما عندك يا ثمامة؟" قال: ما قلت لك، إن تنعم تنعم على شاكر. فتركه حتى كان بعد الغد فقال:

"ما عندك يا ثمامة؟" فقال: عندي ما قلت لك.

فقال: "أطلقوا ثمامة"، فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسـل ثـم دخـل المسجد فقال:

أشهد ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، يا محمد والله ما كان على الأرض وجه أبغض إليّ من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إليّ، والله ما كان من دين أبغض إليّ من دينك فأصبح دينك أحب الدين إليّ، والله ما كان من بلد أبغض إليّ من بلدك. فأصبح بلدك أحب البلاد إليّ، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى؟ فبشره النبي ﷺ، وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: صبوت؟ قال: لا والله، ولكن أسلمت مع محمد رسول الله ﷺ، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي ﷺ[1].

هذه القصة من أوضح الشواهد والدلائل، على انتشار الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، وبروح التسامح والرحمة. إنه انتشر بمبادئه الإنسانية العالية لا كما يقول المتشدقون وأعداء الإسلام أنه انتشر بالسيف، كيف والقرآن الكريم يقول:

﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ﴾[2].

ويقول سبحانه:

﴿ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ۝٦ ﴾[3].

(١) رواه البخاري.

(٢) من الآية ٢٥٦ من سورة البقرة.

(٣) الآية ٦ من سورة الكافرون.

ويقول سبحانه:

﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾[1].

وها هو سيد بني حنيفة ثمامة بن أثال، لقد أسره المسلمون في إحدى السرايا دون أن يعرفوه.

ولما جيء به إلى رسول الله ﷺ، فعرفه أكرمه وأبقاه عنده ثلاثة أيام، وكان في كل يوم يعرض عليه الإسلام ويسأله قائلاً: "ماذا عندك؟"

فيجيب الرجل قائلاً: إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت.

ومعنى (تقتل ذا دم) أي صاحب دم، لدمه موقع يشتفي قاتله بقتله، ويدرك ثأره لرياسته وعظمته.

وفي رواية ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ قال: "قد عفوت عنك يا ثمامة وأعتقتك".

وقد كان لهذه السماحة أثرها في قلب ثمامة، جعلته يبادر بالدخول في الإسلام.

وقد سر الرسول ﷺ بإسلامه كثيرًا لما ترتب على إسلامه من دخول قومه في الإسلام، ولم يقف الحال عند هذا، بل كان لإسلامه أثر هام، فعندما ذهب

---

(١) الآية ٢٢ من سورة الغاشية.

إلى مكة للعمرة وهَمَّ أهلها أن يقتلوه، وفي رواية ابن هشام: قال: بلغني أنه خرج معتمرًا، حتى إذا كان ببطن مكة لبّى فكان أول من دخل مكة يلبي، فأخذته قريش فقالوا: لقد اجترأت علينا. وأرادوا قتله، فقال قائل منهم: دعوه فإنكم تحتاجون إلى الطعام من اليمامة. فتركوه.

وزاد ابن هشام: ثم خرج إلى اليمامة، فمنعهم أن يحملوا إلى مكة شيئًا، فكتبوا إلى النبي ﷺ: إنك تأمر بصلة الرحم. فكتب إلى ثمامة أن يخلي بينهم وبين الحمل إليهم.

وهكذا كتب الرسول ﷺ إلى ثمامة أن يخلي بينهم وبين حبوب اليمامة، ففعل ثمامة ما أمره به الرسول ﷺ.

ولو أراد الرسول ﷺ أن يقهر القوم. وأن يلجئهم إلى الإسلام مستعملاً القسوة، وانتهاز حاجتهم وضرورتهم لفعل، ولكنه لا يقهر أحدًا ولا يستعمل القوة، ولا يكره الناس على الدخول في الإسلام.

وبعد أن انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى، وكانت حركة الردة، وارتد بعض أهل اليمامة، ظل ثمامة هذا ثابتًا هو وأتباعه. وراح يحذر المرتدين من اتباع مسيلمة الكذاب قائلاً لهم:

إياكم وأمرًا مظلمًا لا نور فيه، وإنه لشقاء كتبه الله عز وجل على من أخذ به منكم، وبلاء على من لم يأخذ به منكم.

ولما لم يجد النصح معهم خرج هو والذين معه وانضموا للعلاء بن الحضرمي مددًا له، فكان هذا مما فتّ في عضد المرتدين وألحق بهم الهزيمة[1].

وهذا الموقف من رسول الله ﷺ مع ثمامة نموذج من نماذج التسامح العالية التي كان الرسول ﷺ يتعامل بها مع الناس، فقد كانت معاملاته عبر حياته كلها تتسم بروح التسامح والرأفة، والدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة لا بالقوة والسيف.

ومما لا شك فيه أن الذي يكره على شيء. لا يثبت عليه، وإنما يتخلص منه إذا وجد سبيلاً إلى ذلك، بل ويكون عدوًا له، ولكننا عبر تاريخ الإسلام لم نجد أحدًا ارتد ساخطًا عن دينه بعد أن دخل فيه، بل وجدنا المسلمين تعرضوا عبر تاريخهم إلى حروب وانقسامات لأقطارهم وتسلط أعدائهم عليهم، ومع هذا لم نجد أحدًا منهم رجع عن دينه، بل ثبتوا على الإسلام حتى فتح الله عليهم بركات من السماء والأرض، وجاءهم نصر الله والفتح.

ويستنبط من هذا النموذج ــ بالإضافة إلى ما سبق ــ بعض العبر والدروس منها:

- أن الإسلام انتشر بتعاليمه ومبادئه، ومنهجه الذي يتسم بالحكمة والموعظة الحسنة، وبروح التسامح.
- وفضل شيمة العفو عن المسيء وماله من أثر في تغيير العدو إلى صديق، فإن ثمامة أقسم أن بغضه انقلب إلى حب في وقت واحد وفي

(١) الإصابة، والاستيعاب، والسيرة التحليلية د. أبو شهبة.

ساعة واحدة وذلك نتيجة العفو الذي أسداه إليه الرسول ﷺ، وصدق الله تعالى إذ يقول:

﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾[1].

- مشروعية الاغتسال عند الإسلام.
- وأن للإحسان أثره في إزالة البغض، وتثبيت الحب.

٢- إسلام زيد بن سعنة

أخرج الطبراني، وابن حبان، والحاكم.. وغيرهم من طريق الوليد بن مسلم عن محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه عن جده عن عبد الله بن سلام قال: قال زيد بن سعنة:

ما من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في وجه محمد ﷺ حين نظرت اليه إلا خصلتين لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا. قال زيد بن سعنة: فخرج رسول الله ﷺ يومًا من الحجرات، ومعه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فأتاه رجل على راحلته كالبدوي فقال: يا رسول الله، لي نفر في قرية بني فلان، قد أسلموا ودخلوا في الإسلام وكنت حدثتهم إن أسلموا أتاهم الرزق رغدًا، وقد أصابتهم سنة[2] وشدة وقحط من

(١) من الآية ٣٤ من سورة فصلت.

(٢) رغدًا: واسعًا، وسنة: أي جدب.

الغيث، فأنا أخشى يا رسول الله أن يخرجوا من الإسلام طمعًا، كما دخلوا فيه طمعًا، فإن رأيت أن ترسل إليهم بشيء تغيثهم به فعلت. فنظر إلى رجل إلى جانبه أراه عليًا فقال: يا رسول الله ما بقي منه شيء.

قال زيد بن سعنة: فدنوت إليه، فقلت: يا محمد، هل لك أن تبيعني تمرًا معلومًا في حائط بني فلان إلى أجل معلوم إلى أجل كذا وكذا؟

قال: "لا تسم حائط بني فلان". قلت: نعم. فبايعني، فأطلقت همياني[1]، فأعطيته ثمانين مثقالاً من ذهب في تمر معلوم إلى أجل كذا وكذا فأعطاها الرجل، وقال: اعجل عليهم وأغثهم. قال زيد بن سعنة: فلما كان قبل محل الأجل بيومين أو ثلاث خرج رسول الله ﷺ في جنازة، ومعه أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم في نفر من أصحابه، فلما صلى الجنازة، ودنا إلى الجدار ليجلس إليه أتيته، فأخذته بمجامع قميصه وردائه ونظرت إليه بوجه غليظ، وقلت له:

يا محمد ألا تقضيني حقي؟ فوالله ما علمتكم بني عبد المطلب إلا مطلاً، ولقد كان لي بمخالطتكم علم. ونظرت إلى عمر وعيناه تدوران في وجهه كالفلك المستدير، ثم رماني ببصره فقال: يا عدو الله أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمع؟ وتصنع به ما أرى؟ فوالذي نفسي بيده، لولا ما أحاذر فوته لضربت بسيفي رأسك، ورسول الله ﷺ ينظر إليَّ في سكون وتؤدة، فقال: "يا عمر، أنا

---

(١) ما يشد على الوسط وبه مكان كالكيس تحفظ فيه الأموال.

وهو كنا أحوج إلى غير هذا، أن تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن اتباعه، اذهب به يا عمر فأعطه حقه، وزده عشرين صاعًا من تمر مكان ما رعته[1]".

قال زيد: فذهب بي عمر فأعطاني حقي وزادني عشرين صاعًا من تمر، فقلت: ما هذه الزيادة يا عمر؟

قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أزيدك مكان ما رعتك.

فقلت: أتعرفني يا عمر؟

فقال: لا فمن أنت؟

قلت: أنا زيد بن سعنة.

قال: الحبر؟

قلت: الحبر.

قال: فما دعاك إلى أن فعلت برسول الله ما فعلت؟ وقلت له ما قلت؟

قلت: يا عمر، لم يكن من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في وجه رسول الله ﷺ حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا، وقد أخبرتهما، فأشهدك يا عمر أني قد رضيت بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيًا، وأشهدك أن شطر مالي ـ فإني أكثرها مالاً ـ صدقة على أمة محمد ﷺ. قال عمر: أو على بعضهم

---

(١) رعته: أفزعته.

فإنك لا تسعهم. قلت: أو على بعضهم. فرجع عمر وزيد إلى رسـول الله ﷺ فقال زيد: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. وآمن بـه وصدقه وبايعه، وشهد معه مشاهد كثيرة، ثم توفي في غزوة تبوك مقبلاً غير مدبر، رحم الله زيدًا.

وقد روى ابن ماجه من هذه القصة طرفًا، وقال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله ثقات، وأخرجه ابن حبان والحاكم، وأبو الشيخ في كتاب أخلاق النبي ﷺ وغيرهم.

إن هذه القصة تصور لنا بعض سجايا رسول الله ﷺ، وما فطر عليه من الحلم والصفح والعفو عن المسيء، استجابة لتوجيه الله تعالى له:

﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾[1].

وقال الله تعالى:

﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾[2].

إنه كالبحر العذب لا يعكر ماءه الصافي ما يلقى فيه من أحجار.

٣- موقف الرسول ﷺ مع أحد الأعراب

لقد جاء اليه ﷺ ذات مرة أعرابي فجبذه جبذة شديدة حتى أثرت حاشية[3]

---

(١)الآية ١٩٩ من سورة الأعراف.

(٢) من الآية ٤٠ من سورة الشورى.

(٣) جَبَذَ لُغَةٌ في جَذَبَ، وحاشية الثوب: طرفه من عند العنق.

الثوب في صفحة عاتقه، ثم قال: يا محمد احمل لي على بعيريَّ هذين من مال الله الذي عندك، فإنك لا تحمل لي من مالك ولا من مال أبيك.

فسكت رسول الله ﷺ ثم قال: "المال مال الله وأنا عبده"، ثم قال: "ويقاد منك يا أعرابي ما فعلت بي"، قال: لا. قال: "لم؟" قال: لأنك لا تكافئ السيئة بالسيئة.

فضحك النبي ﷺ، وسر من جوابه، وأمر أن يحمل له على بعير شعير، وعلى الآخر تمر.

وهذه القصة من أوضح الشواهد على أن الإسلام انتشر بالحسنى، وانتشر بالقدوة والخلق العظيم الذي تمثله رسول الله ﷺ، وبالحكمة والموعظة الحسنة، وبكريم السجايا، وبفضائله ومعاملاته الإنسانية التي لا مثيل لها.

إنه لم ينتشر بالسيف كما يدعي المغرضون، وإنما انتشر بسماحته ويسره، وبحكمة الرسول ﷺ ورأفته، وعطفه ورحمته، وبره بالناس وصفحه عن المسيء وحلمه الغزير، وقلبه الكبير، ولين جانبه.

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[١].

فصلوات الله وسلامه عليك يا من بعثك الله رحمة للعالمين.

---

(١) من الآية ١٥٩ من سورة آل عمران.

الحرية الدينية

كفل الإسلام الحرية الدينية لغير المسلمين الذين يعيشون في المجتمع الإسلامي، فلم يكره أحدًا على الدخول في الإسلام، قال الله تعالى:

﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ﴾[1].

كما صان الإسلام حرمة غير المسلمين، وجعل من حقهم أن يبدوا رأيهم، وأن يناقشوا، وأمر المسلمين ألا يجادلوهم إلا بالتي هي أحسن، قال سبحانه:

﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾[2].

كما أحل الإسلام طعام الذين أوتوا الكتاب للمسلمين وأحل طعام المسلمين لهم والزواج من نسائهم فقال الله تعالى:

﴿ ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖ ﴾[3].

---

(١) من الآية ٢٥٦ من سورة البقرة.

(٢) الآية ٤٦ من سورة العنكبوت.

(٣) من الآية ٥ من سورة المائدة.

كما دعا الإسلام إلى حسن معاملة غير المسلمين، وزيارتهم وعيادة مرضاهم، وتبادل المنافع معهم والتعاون على الخير، والبيع والشراء، وسائر المعاملات، وكان رسول الله ﷺ القدوة في ذلك في الكثير من المعاملات، لدرجة أنه مات ودرعه مرهونة عند يهودي في دين له عليه، وكان بعض أصحاب الرسول ﷺ إذا ذبح شاة، يقول لخادمه: ابدأ بجارنا اليهودي.

وعندما مرت على رسول الله ﷺ جنازة، قام لها، فقيل له: إنها جنازة يهودي. قال: "أو ليست نفسًا؟"، وكان التوجيه الإسلامي داعيًا إلى عدم التضييق عليهم في ممارسة شعائرهم، وألا تهدم لهم كنيسة ولا يكسر لهم صليب، إلى آخر التعاليم التي تحمي حريتهم الدينية والتي هي أكبر شاهد على سماحة الإسلام وعلى قبول التعددية الدينية التي تلتزم بالتعاليم ولا يكون منها عدوان ولا خروج على الشريعة والحق.

وإن حب الوطن من الإيمان، وإن المحافظة عليه والدفاع عنه يستوجب أن يكون أبناء الوطن الواحد على قلب رجل واحد، ولا يتأتى لهم ذلك إلا إذا قامت بينهم وحدة وطنية، متجردة من الأهواء، بعيدة عن التعصب؛ لأن ديننا الإسلامي دين عالمي، ختم الله بشريعته الشرائع السابقة، وختم بالقرآن الكريم الذي أنزله على سيدنا محمد ﷺ جميع الكتب السماوية السابقة، وختم برسولنا ﷺ جميع الأنبياء والمرسلين، وهذا الدين عالميّ الدعوة، ليس لقطر دون قطر، ولا لزمان دون زمان، ولكنه خالد إلى أن يقوم الناس لرب العالمين.

ومن أجل ذلك جاءت دعوته العالمية لا تخاطب فئة دون فئة، بل جـاءت تخاطب الناس جميعًا وتأمرهم أن يعبدوا ربهم، وأن يؤمنوا بـه، وطبّـق رب العزة سبحانه وتعالى هذه الدعوة العالمية تطبيقًا عمليًـا ليطلـع كـل الفئـات والطوائف في المجتمعات البشرية إلى قيام الساعة، وليبين لها أن هـذا الـدين يجب اتباعه وأن هذا الرسول ﷺ يجب الإيمان به، طَبَّقَ ذلك عمليًا في ليلـة الإسراء والمعراج حين حشر الله جميع الرسل والنبيين أيقاظًا أحياء بأجسادهم وبلحمهم ودمهم وهو على كل شيء قدير فهو المحيي والمميت وهـو الـذي يبعث من شاء متى شاء في أي وقت شاء حشرهم في ليلة الإسراء والمعراج، وأوجدهم أحياء، واجتمعوا في المسجد الأقصى، جمع هؤلاء الرسـل جميعًـا، وجاء جبريل، وأخذ بيد الحبيب المصطفى ﷺ وقدمه للقبلة ليصلي بهم إمامًـا. وتقديم جبريل هو تقديم بوحي إلهي وأمر رباني، فصلى بهم ﷺ إمامًا، فكانت إمامته لجميع الرسل والنبيين إعلانًا لأتباعهم في كل الأرض وإلـى أن يقـوم الناس لرب العالمين، وأنَّهُ إذا كان الرسل والنبيون اقتدوا به واتبعوا هذا النبي، فأولى بأتباعهم في كل الأرض أن يتبعوه إلى أن تقوم الساعة.

وكان إعلانًا في الوقت نفسه إلى وحدة الدين السماوي وعدم التفرقة بـين نبي ونبي وبين رسول ورسول وشريعة وشريعة، وجاء الإسلام لـيعلن أن الواحد منا لا يكون مسلمًا ولا يكون مؤمنًا كامل الإيمان إلا إذا آمن بالنبيين والرسل أجمعين:

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾[1].

أي أن الإنسان لا يكون مسلمًا ولا يكون مؤمنًا حق الإيمان إلا إذا آمن بالرسل جميعًا من لدن آدم وإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم إلى خاتمهم سيدنا محمد ﷺ، ليس في هذا تعصب، بل في هذا إيمان بالرسل جميعًا، كما امتاز الإسلام أيضًا بأنه لا يكره أحدًا على الدخول فيه، بل إن من اقتنع بهذا الدين ودخله مؤمنًا صادقًا فأهلاً ومرحبًا، ومن لا يقتنع.. فله دينه:

﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾[2].

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ﴾[3].

﴿ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ﴾[4].

﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾[5].

---

(١) الآية ٢٨٥ من سورة البقرة.

(٢) الآية ٦ من سورة الكافرون.

(٣) من الآية ٢٥٦ من سورة البقرة.

(٤) من الآية ٤٥ من سورة ق.

(٥) الآية ٢٢ من سورة الغاشية.

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾[1].

إن مبادئ الإسلام التي قررها القرآن الكريم وأعلنها بأنه لا إكراه في الدين وأعلن حقوق المسلمين وحقوق غير المسلمين جاءت تعلن العدالة والحرية والسماحة والوفاء والعدل بين الناس جميعًا في الحقوق والواجبات، وقبل أن يدخل الإسلام مصر وقبل الفتح الإسلامي، كان الأقباط في مصر يعيشون تحت نير الاستعمار الروماني ويتذوقون من الروم العسف والشدة والعنف والقتل والحرب والإيذاء والاضطهاد الذي ما بعده وما قبله اضطهاد، حتى أن أقباط مصر استجاروا بهذا الدين الذي سمعوا عنه أنه لا إكراه فيه، وسمعوا أنه دين العدالة ودين الرحمة، وأنه الدين الذي يسوي بين الحاكم والمحكوم وبين الغني والفقير وبين القوي والضعيف، الدين الذي ينصف المظلوم والذي يعطي لكل ذي حق حقه، سمعوا بهذا الدين فتنادوا إليه ورحبوا به وتمنوا أن يأتيهم، فما إن نزل الإسلام مصر وجاءها الفتح الإسلامي حتى كان الأقباط أول المرحبين بالدين وأول الفرحين به لأنه أخرجهم من الظلمات إلى النور وأعطاهم حقوقهم ووقف بجوارهم وأنصف المظلوم منهم ورد عنهم كيد الرومان، فأحبوا دين الله، وأعلن القرآن حبهم أيضًا، كما أعلن عداوة اليهود للمؤمنين حين قال:

(١) من الآية ٥٦ من سورة القصص.

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانًا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[1].

جاء القرآن بهذه الآيات حتى لا تحدث فتنة بين الطوائف، وكان أول من طبق هذه الوحدة الوطنية سيدنا المصطفى ﷺ، فعندما هاجر من مكة إلى المدينة كان أول عمل قام به بناء المسجد ليوثق الصلة بالله أولاً، والعمل الثاني أنه آخى بين المهاجرين والأنصار ليوحد الصفوف المسلمة، والعمل الثالث أنه قام بتوحيد الصف والتعاون ووضع وثيقة للعلاقات الإنسانية والدولية بين المسلمين وبين غير المسلمين من أهل الكتاب الذين كانوا يسكنون المدينة، فتعاهد معهم أن يكون المسلمون وغير المسلمين يدًا واحدة في مواجهة أعدائهم، لولا أن اليهود هم الذين نقضوا العهد كما هو طبعهم في كل مرة ينقضون العهود. الشاهد أن الرسول ﷺ هو أول من أقام نسيج هذه الوحدة الوطنية حين أعلن دستور المدينة: أن يتعاون الجميع في مواجهة الذين يحاولون أن يغدروا بالمسلمين أو أن ينقضوا على مدينة رسول الله ﷺ، وقرر حقوق غير المسلمين كحقوق المسلمين في المواطنة وفي عدم الظلم، وقرر الإسلام حقوقًا للمعاهد الذي بيننا وبينه عهد، أي لم يناصبنا الحرب ولم يقف في ميدان الحرب ليقاتلنا ويناصبنا العداء، لقد أعطيناه عهد أمان ليعيش معنا

---

(١) الآية ٨٢ من سورة المائدة.

في أمان، فما دام قد أخذ عهد الأمان واتفقنا على أن يأتينا أو يعيش بيننا فالرسول ﷺ يقول: "إلا من ظلم معاهدًا أو انتقصه أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس أو كلفه ما لا طاقة له به فأنا حجيجه يوم القيامة"(١)، صلوات الله وسلامه عليك، يا من بعثك الله رحمة للعالمين، إن رحمته ليست للمسلمين فقط. بل لغير لمسلمين، حتى بالنسبة للمشرك، يقول الله تعالى:

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ۝ ﴾(٢).

والقرآن حين يقرر هذا يريد من المجتمعات البشرية ألا تشعل فتنا دينية ولا حربًا أهلية في أوطانها، وإنما يريد أن يعيش الناس في سلام وأمان وفي استقرار وهدوء، فإذا ما حاول دعاة الفرقة والفتنة أن يبثوا سمومهم في الصفوف الإسلامية فعلى المسلمين أن ينتبهوا لذلك وأن يطبقوا تعاليم دينهم الحنيف التي لا تسمح لهذه الفتن من المسلمين أو من غير المسلمين أيضًا، فنحن جميعًا نركب سفينة واحدة، لو قام أحد ركاب السفينة فأحدث فيها خرقًا فغرقت لن يغرق الذي أحدث الخرق، بل سيغرق كل ركاب السفينة.

---

(١) رواه البيهقي وأبو داود.

(٢) من الآية ٦ من سورة التوبة.

من هنا كانت معاملة المسلمين لغير المسلمين منذ الفتح الإســلامي. وفــي عهد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه حدثت هذه الواقعة، عندما تســابق ابن أحد النصارى مع ابن عمرو بن العاص، وسبقه القبطــي، فضــربه ابــن الوالي وقال له: أنا ابن الأكرمين. وحين رفع الأمر إلى عمر بــن الخطــاب رضي الله عنه استقدم عمرو بن العاص واستقدم القبطي وأباه وفي موسم الحج على ملأ من الناس يعلن عدالة الإسلام ومساواته ويقول لــه: اضــرب ابــن الأكرمين. وأعطاه الدرة، فضربه، ثم قال: أمررها على صلعة عمرو. فقــال القبطي: ضربتُ من ضربني يا أمير المؤمنين. قال: ما ضربك إلا بنفوذ أبيه. ثم التفت قائلاً رضي الله عنه: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا؟

وحين رأى رجلاً عجوزًا من أهل الكتاب كفيفًا لا يرى ويسأل ويطــرق الأبواب يطلب الحاجة قال: من؟ قال: من أهل الكتاب. قال: مــن أي أهــل الكتاب؟ قال: يهودي. قال: ما أنصفناك حين أكلنا شــبيبتك وتركنــاك فــي كبرك. فأسرع وأعطاه ما يحتاج، وقال لخازن بيت المال: انظر مثــل هــذا وأضرابه واجعل له حقًا في بيت مال المسلمين.

هذه هي تعاليم الإسلام التي تدعو إلى السماحة على هذا النحو الذي قرر أنه دين سمح لا تعصب فيه، ولا إكراه فيه، ليطلع هذا العالم الذي نعيش فيه وليطلع هؤلاء الذين يعيشون في هذا العالم المضطرب الذي يموج بــالفتن. وهناك نموذج آخر:

عندما جاء ثمامة بن أثال وعندما أسروه وكان عدوا للمسلمين قبل ذلـــك، وربطوه على جذع الشجرة، وجاء الرسول في ثلاثة أيام يعرض على الرجل الإسلام فيرفض ويقول: إن تقتل تقتل ذا دم، أو إن تنعم تنعم على شاكر، أو تسأل مالاً تُعط. فلما لم ير النبي ﷺ قبولاً عنده للإسلام، أمـــر أصـــحابه أن يطلقوا سراحه، وعفا عنه النبي ﷺ، فانظروا ماذا فعل هذا الرجل، لقد ذهب ثمامة بن أثال هذا إلى نخل ليغتسل عنده، وجاء يقطر الماء من أعضاءه وهو يفكر ويدبر ويقول: ما هذا الدين؟ ما هذا الرسول؟ كنت عـــدوهم بـــالأمس وأعملت فيهم السيف، وأسروني وعرضوا عليّ دينهم ورفضته لهم، ثم بعـــد ذلك يصفحون عني؟ والله ليست هذه بأخلاق بشر وإنما هي أخلاق النبوة من عند الله تعالى رب العالمين.

فجاء الرجل ليعلنها صريحة مدوية وليقول: اعلم يا محمد، ما كان مـــن بلـــد أبغض إلي من بلدك وقد أصبح أحب البلاد إلي، وما كان من دين أبغض الـــي من دينك، وقد أصبح أحب الأديان إلي، وما كان من وجه أبغـــض إلـــيّ مـــن وجهك، وقد أصبح أحب الوجوه إلي فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. ودخل الرجل الإسلام بفضل سماحة هذه التعاليم التي جاء بها هذا الـــدين الـــذي أعلن حقوق الإنسان والذي رعى الجميع، والذي احتوى كل الطوائف والفئـــات، والذي قرر حقوق الإنسان قبل أن تعرف المنظمات الدولية حقوق الإنسان. أيـــن حقوق الإنسان لدى الشعب الفلسطيني الذي يرسف في الأغلال وتصادر حريته وتقام المستوطنات على أرضه ويؤسر واحد من أعظم المقدسات وهـــو القـــدس الشريف؟ إنه الدين العالمي الذي يدعونا أن نكون قوة، وألا نرضخ لهذه الفـــتن

الهوجاء التي يحاول إشعالها بين الفينة والفينة بعض الضعفاء وبعض السفهاء؛ أعلن ذلك كله سيد الخلق ﷺ الذي دعا إلى هذا العدل وإلى هذه الحرية وإلى هذا الأمان، وجاء القرآن الكريم ليعلنها صريحة مدوية:

﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝ ﴾[1].

وقال ﷺ: "من أذى ذميًا فقد أذاني ومن آذاني فقد آذى الله"[2]. وقال ﷺ: "من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عامًا"[3].

ولقد طبق المسلمون تعاليم الإسلام في الحفاظ على حقوق غير المسلمين لدرجة أن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تمسك بإطلاق الأسرى الذين كانوا في أيدي التتار من أهل الذمة مع المسلمين، فعندما أطلق قائد التتار أسرى المسلمين فقط دون أسرى اليهود والنصارى لم يقبل شيخ الإسلام ابن تيمية وقال لقائد التتار: لا نرضى إلا بافتكاك جميع الأسارى من اليهود والنصارى، فهم أهل ذمتنا ولا ندع أسيرًا لا من أهل الذمة ولا من أهل الملة. فحقق له القائد ما أراد، وأطلق الجميع حين رآه مُصِرًّا على ذلك.

---

(١) الآية ٦ من سورة الكافرون.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط.

(٣) رواه أحمد والبخاري والنسائي وابن ماجه.

بيان أن النهي هو عن موالاة الكفار المعادين للمسلمين

عرفنا فيما سبق كيف كانت معاملة الإسلام لغير المسلمين، وأنه دعا إلى إقامة العدالة معهم وأن يبرهم المسلمون ما داموا لم يقاتلوهم ولم يخرجوهم من ديارهم.

أما بالنسبة للكافرين الذين يعادون المسلمين، فقد حذّر الإسلام من موالاتهم ومناصرتهم، لما يترتب على ذلك من الضرر والخطر، وأن من يوالي الأعداء، فليس من الله في شيء، فهو مقطوع عن الله تعالى وصلته به. اللهم إلا إذا كان المسلم في حالة خوف وضعف فأجاز الإسلام موالاتهم ظاهرًا إلى أن يعد المسلمون أنفسهم، فقال الله تعالى:

﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾[1].

ولقد توعد الله المنافقين بالعذاب الأليم، أولئك الذين يتخذون الكافرين أولياء، يوالونهم بالمودة سرًا ويعرضون عن المؤمنين طالبين عند الكافرين العزة، وهذا خطأ؛ لأن العزة والقوة والمنعة إنما هي لله ولرسوله وللمؤمنين كما وضح رب العزة سبحانه وتعالى ذلك في قوله جل شأنه:

---

(١) من الآية ٢٨ من سورة آل عمران.

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1].

وإذا أخلص المؤمنون ونصروا دين ربهم، فسينصرهم الله تعالى، ولن يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلاً، ولن يمكن الكافرين من النصر عليهم، قال الله تعالى:

﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ ﴾[2].

والموالاة المنهي عنها هي موالاة الذين يحادون الله ورسوله، وليست موالاة المخالفين للمسلمين المسالمين لهم.

---

(١) من الآية ٨ من سورة المنافقون.

(٢) الآيات من ١٣٨: ١٤١ من سورة النساء.

فقد ربط النهي بالمحادة لله ورسوله في قوله سبحانه:

﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾[1].

كما شرط القرآن في النهي عن موالاة غير المسلمين أن يكونوا مقــاتلين لهم أو أن يحاولوا إخراج الرسول ﷺ والمؤمنين من ديارهم بغير حق قــال الله تعالى:

﴿ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝ ﴾[2].

(١) من الآية ٢٢ من سورة المجادلة.

(٢) الآية ٩ من سورة الممتحنة.

الحقوق والواجبات لغير المسلمين

وتقضي التعددية الدينية وجود غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ولهم من الحقوق ما للمسلمين، وعليهم من الواجبات ما عليهم، لهم ما لنا وعليهم ما علينا، إلا ما جاء استثناؤه شرعًا. ومن هذه الحقوق: عدم إكراههم على الدخول في الإسلام، وحمايتهم من أي عدوان أو ظلم أو اضطهاد، وحمايتهم من أي عدوان من خارج الدولة الإسلامية. وفيما ذكره ابن حزم: من كان في الذمة وجاء أهل الحرب إلى بلادنا يقصدونه وجب علينا أن نخرج لقتالهم بالكراع والسلاح ونموت دون ذلك صونًا لمن هو في ذمة الله ورسوله.

وإذا أسر أحد منهم كان على المسلمين أن يدافعوا عنه كما يدافعون عن المسلمين في فك الأسر كما فعل شيخ الإسلام ابن تيمية حين أصرّ على فك أسرى أهل الذمّة وأجابه قائد التتار إلى ما يطلب ومن هذه الحقوق حماية النفس والمال والعرض قال الإمام علي رضي الله عنه: من كانت له ذمتنا فدمه كدمنا.

ومن ذلك أيضًا توفير الحياة الكريمة التي يجد فيها ما يحتاج إليه، وإذا لم يكف بيت المال كان على المسلمين أن يؤدوا إلى أهل الذمة ما يحتاجون إليه من مال وغذاء وكساء وعلاج ومأوى، وكفالة حريتهم.

ومن هذه الحقوق: توليهم الوظائف العامة في الدولة، إلا الوظائف ذات الصفة الإسلامية كالرئاسة والإمامة ونحو ذلك.

وتجاه هذه الحقوق عليهم واجبات: وهي أن يؤدوا ما عليهم من تكاليف مالية، وأن يلتزموا بالقانون الإسلامي الذي يحكم الدولة ومنها أنه يجب مراعاة مشاعر المسلمين، والتعاون معهم في كل أمور الحياة وشئونها، وأن يؤدوا أعمالهم بإتقان وإخلاص.

الإسلام دين السماحة واليُسر

إن الإسلام هو دين السماحة واليسر، لا يقر العسر ولا الحرج.

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾[1].

وقال سبحانه:

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾[2].

وعن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ عن النبي ﷺ قال: "إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحدٌ إلا غلبه، فسدّدوا وقاربوا، وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدُلجة"[3].

ووجوه السماحة والتيسير في الدين واضحة، في عقيدته فهي عقيدة سمحة، لا إكراه عليها، ولا تعقيد فيها.

وعباداته سمحة وميسرة، فمن لم يجد الماء أو وجده وقام مانع صحي يمنعه من استعمال الماء تيمم بالتراب الطهور. ومن عجز عن الصلاة من

(١) من الآية ١٨٥ من سورة البقرة.

(٢) من الآية ٧٨ من سورة الحج.

(٣) رواه البخاري.

قيام صلى من قعود، ومن كان مسافرًا سفرًا طويلاً وكان مريضًا في رمضان فيرخص له في الإفطار وقضاء الأيام التي أفطرها من أيام أخر.

ولا تجب الزكاة إلا على من ملك النصاب، ومقدار ما يخرجه المزكي يكثر إذا قلت المؤنة والسعي، ويقل إذا كثرت المؤنة والسعي.

والحج لا يجب إلا على المستطيع، ويجب مرة واحدة في العمر وهكذا نرى سماحة الإسلام ويسره في عقيدته وعباداته وفي جميع المعاملات، وفي سائر التعاليم الإسلامية.

ويتجلى يسر الإسلام حيث رفع الله تعالى عن الأمة الإسلامية حد التوبة الذي كان على من قبلهم من الأمم، وكانت توبتهم بقتل أنفسهم، أما توبة هذه الأمة فبالإقلاع عن الذنب والندم على ما فات والعزم على عدم العود ورد الحقوق لأصحابها.

والمشادة: هي المغالبة. والحديث يحذر من التعمق في الأعمال الدينية؛ لأن من تشدد وترك اليسر والرفق يعجز وينقطع عن العمل فيغلب.

وليس في الحديث ما يفيد منع طلب الأكمل في العبادة، فإن كمال العبادة مطلوب ومحمود، وإنما المراد بالحديث في قوله ﷺ: ".. ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه.." منع الإفراط الذي يؤدي بصاحبه إلى السآمة والكسل، والضعف والملل، وقد أمر الرسول ﷺ بلزوم السداد دون إفراط أو تفريط والتوسط في العمل، وأن الذي لا يستطيع أن يأتي بالأكمل فعليه أن يأتي بما يقرب من

الأكمل "فسددوا وقاربوا وأبشروا" أي أبشروا بالثواب على العمل الدائم وإن كان قليلاً "واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة"، وفي هذا توجيه للعباد أن يستعينوا على مداومة العبادة والعمل بأن يفعلوها في أوقات النشاط كالغدوة وهي السير أول النهار أو ما بين صلاة الغداة إلى طلوع الشمس، والروحة: بعد الزوال، والدلجة: السير أخر الليل، وقيل: سير الليل كله. وفي هذه التوصية النبوية دعوة إلى التيسير وعدم التعسير.

ومن توجيهات الرسول ﷺ في الأخذ بما فيه يسر ما روي عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ دخل عليها وعندها امرأة، قال:

"من هذه؟"

قالت: فلانة ـــ تذكر من صلاتها.

قال: "عليكم بما تطيقون فوالله لا يمل الله حتى تملّوا"[١].

وكان الناس يذكرون أن هذه المرأة كثيرة الصلاة، ولأحمد عن يحيى القطان: لا تنام تصلي.

ووجه الرسول ﷺ أن يؤدوا من الأعمال ما يستطيعون المداومة عليه.

والملال هو استثقال الشيء والنفور منه بعد محبته وهو محال على الله تعالى، وإنما أطلق هنا على جهة المقابلة اللفظية مجازًا كما في قول الله تعالى:

---

(١) رواه البخاري.

﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثۡلُهَا ﴾[1].

وقال الهروي: معناه لا يقطع عنكم فضله حتى تملوا سؤاله فتزهدوا في الرغبة إليه.

(١) من الآية ٤٠ من سورة الشورى.

الفهرس